المبحث الرابع
المعنى الموضوعة له صيغة السلام

تمهيد:

المقصود من هذا المبحث هو تقدير معنى السلام بما يدل على الإخبار أو الطلب، بمعنى هل السلام من حيث مدلول اللفظ خبر محض غير ملحوظ فيه معنى الطلب، أم هو إنشاء محض، أم هو مركب منهما باعتبار الجهات، بحيث يجعل من وجهٍ خبراً، ومن وجهٍ آخر إنشاءً، أم لا؟.

والمراد بالمعنى المبحوث هنا هو المعنى الخاص المقدر في اللفظ؛ لأنَّ الألفاظ والمباني إنما وضعت في الأصل قوالب للمعاني والمقاصد، واللفظ مصاحب لمعناه ومقصده، لا ينفك عنه بوجه ما؛ لشدة الارتباط بينهما، وكلما كان المعنى على خلاف ظاهر اللفظ ازدادت قوة العلاقة بينهما تأكداً؛ لأنَّ فهم المعنى حينئذٍ يتوقف على قصد المتكلم وغرضه، أو على قرائن تبين المعنى المقصود من اللفظ؛ ولذلك لما كانت صيغة السلام من حيث المبنى خبراً ومقصدها على خلاف مبناها اختلفت عبارة العلماء في تقدير المعنى المراد منها؛ لأنَّ المعنى غير منصوص عليه، والنص إذا عدم مع احتمال اللفظ لأكثر من معنىً تُبنى المسائل حينئذٍ على الاجتهاد، وعليه فإن المقام يقتضي التفريع على النحو الآتي:

أولاً: أهمية بحث معنى الصيغة:

تكمن أهمية معرفة معنى الصيغة في أن الفقهاء بنوا عليه أحكاماً تتعلق بالابتداء والرد، بحيث لا يمكن الخلاص منها إلاَّ بمعرفة المعنى، كالسلام على أهل الكتاب ونحوهم؛ ولذلك كانت الحاجة إليه ماسة لاسيما إذا كان المسلم يتعامل مع غير المسلمين في دياره أو ديارهم، وأيضاً فإن القلب ينعقد على المعنى أكثر من

انعقاده على اللفظ؛ لأن المعنى هو المقصود من اللفظ، واللفظ إنما وضع ليدل على المعنى؛ ولذلك كانت معرفة المعاني من الأهمية بمكان.

ثانياً: فوائد معرفة معنى الصيغة:

الفائدة الأولى: حتى لا يكون لفظ الشارع الحكيم مهمل المعنى، بحجة عدم العلم به؛ لاستحالة مخطبة المكلفين بما لا معنى له.

الفائدة الثانية: حتى لا يخلو لفظ المتكلم عن قصدٍ واستحضارٍ لمعنى السلام عند التلفظ به؛ لئلا يكون لفظه بمنزلة لفظ من لا يعقل، حيث اعتاد أكثر الناس إطلاق الصيغة من غير إدراك لمعناها المقصود، وإنما أُطلقت عندهم بحسب العادة، وجريان العرف.

ثالثاً: حقيقة الإنشاء والخبر:

المراد بالإنشاء هنا المعنى المدلول عليه من اللفظ بما يؤول إلى الطلب، والطلب ما يستدعي مطلوباً غير حاصل في وقت الطلب، ويسميه علماء البلاغة بالإنشاء الطلبي كالدعاء ونحوه، ومعنى ذلك أن جملة السلام خبر أريد بها الطلب.

والمراد بالخبر هنا المعنى الذي يتحقق مدلوله في الخارج، فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتاً ونفياً صدق، وعدم المطابقة كذب؛ ولذلك يقول أهل البلاغة: الخبر كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، ومعنى ذلك أنه إنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله، فلفظ السلام مثلاً إذا ألقاه القائل على جماعة يحملون السلاح، وأراد به معنى الأمان، أو السلامة المطلقة، ثم إذا وضعوا أسلحتهم حمل عليهم سلاحه، فروّعهم، و أخافهم، وقتل بعضهم، فخبره حينئذٍ على هذا الوجه غير مطابق للحقيقة و الواقع؛ ولذلك يسمى هذا الخبر كذباً؛ لأن مدلوله لم يكن مطابقاً للنسبة الخارجية، ولفظ السلام إنما وضع في الأصل ليدل على معنى الأمن والسلامة، لكن هل دلالته على ذلك من باب الخبر أو الدعاء؟.

الجواب على ذلك: اختلف العلماء في المعنى المدلول عليه من اللفظ، وسبقت إشارة الحافظ ابن حجر إلى هذا الخلاف في المبحث اللغوي على قولين:

القول الأول: قالوا: المراد اسم السلام عليكم، والسلام هنا هو الله عز وجل؛ إذ هو اسم من أسمائه.

قال الإمام الشافعي أثناء سياق فوائد أحاديث السلام على النبي ﷺ وهو يبول: ومن دلائلها أنَّ السلام اسم من أسماء الله تعالى(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل في رواية أبي داود(٢) عنه: السلام اسم من أسماء الله تعالى(٣).

القول الثاني: قالوا السلام مصدر بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية، كما حكاه عنهم ابن القيم(٤).

قال الزرقاني(٥): معنى السلام عليك الدعاء، أي سلمت من المكاره(٦).

رابعاً: حجج الفريقين:

أ- حجج أصحاب القول الأول:

الدليل الأول: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا صلينا مع النبي ﷺ قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان وفلان، فلما انصرف النبي ﷺ أقبل علينا بوجهه فقال: **«إن الله هو السلام»**(٧)، وفي رواية: **«لا تقولوا السلام على الله؛ فإنَّ الله هو السلام، ولكن قولوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»**.

الدليل الثاني: حديث المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه(٨)، أنه أتى النبي ﷺ وهو يبول،

---

(١) انظر كتاب الأم للإمام الشافعي ١ /٥١ .

(٢) هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، الإمام العلم، من تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل وقد روى عن شيخه مسائل كثيرة، وروى عنه الإمام أحمد حديثاً واحداً، من مصنفاته: كتاب السنن، والناسخ والمنسوخ، والقدر، والمراسيل، وغير ذلك، ولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ. انظر تذكرة الحفاظ للقيسراني ٢ /٥٩١ .

(٣) انظر كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس البهوتي ٢ /١٥٢ .

(٤) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ١ /١٤٢ .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني، المصري، المالكي، من مصنفاته: شرح الموطأ، وشرح البيقونية في علم المصطلح، توفي سنة ١١٢٢ هـ . انظر كشف الظنون ٢ /١٨٩٦، وانظر الرسالة المستطرفة للكتاني ص ١٩١ .

(٦) انظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ١ /٢٧٢، دار الكتب العلمية-بيروت، ط/ الأولى سنة، النشر: ١٤١١ هـ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الآخرة ١ /٢٨٦ برقم ٧٩٧، وفي كتاب الاستئذان، باب السلام اسم من أسماء الله ٥ /٢٣٠١ برقم ٦٢٣٠، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة ٥ /٢٣٣١ برقم ٦٣٢٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة ١ /٣٠١ برقم ٤٠٢ .

(٨) هو عمرو بن خلف بن عمير بن جدعان القرشي التيمي، أسلم يوم فتح مكة، وسكن البصرة ومات بها، غلب عليه لقب المهاجر؛ لأنه قدم على رسول الله ﷺ مسلماً، فقال رسول الله ﷺ هذا المهاجر حقاً . انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٤ /١٤٥٤ .

فسلم عليه، فلم يرد عليه حتى توضأ، ثم اعتذر إليه فقال: (إني كرهت أن اذكر اسم الله إلا على طهرٍ، أو قال: على طهارة)(١).

قالوا ففي هذا بيان أن السلام ذكر الله، وإنما يكون ذكراً إذا تضمن اسماً من أسمائه.

الدليل الثالث: حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«إن السلام اسم من أسماء الله تعالى، وضعه الله في الأرض، فأفشوا السلام بينكم»**(٢).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: **«إنَّ السلام اسم من أسماء الله الحسنى، فأفشوه بينكم»**.

الدليل الرابع: أن الكفار من أهل الكتاب لا يبدؤون بالسلام فلا يقال لهم: (السلام عليكم)(٣).

قال ابن القيم بعد أن ساق بعضاً من الحجج السابقة: فهذه حجج كما ترى قوية ظاهرة(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده، من مسند المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه ٤ /٣٤٥، وأبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب أبرد السلام وهو يبول ١ /٥ برقم ١٧، وابن خزيمة في صحيحه، جماع أبواب فضول التطهير، باب استحباب الوضوء لذكر الله ١ /١٠٣ برقم ٢٠٦، وابن حبان في صحيحه، ذكر الإباحة لغير المتطهر ان يقرأ كتاب الله ما لم يكن جنباً، وذكر خبر قد يوهم طلبة العلم انه مضاد له، ٣ /٨٢ و٨٦ برقم ٨٠٣ و٨٠٦، والبيهقي في سننه الكبرى، جماع أبواب سنة الوضوء وفرضه، باب استحباب الطهر للذكر والقراءة ١ /٩٠ برقم ٤٣٠، وابن حبان كما في موارد الظمآن، كتاب الطهارة، باب الذكر والقراءة والوضوء ص ٧٤ برقم ١٨٩، والحاكم في المستدرك، كتاب الطهارة ١ /٢٧٢ برقم ٥٩٢، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي. وبلفظ مسلم من حديث المهاجر بن قنفذ رواه الدارمي في سننه، كتاب الاستئذان، باب إذا سلم على الرجل وهو يبول ٢ /٣٦٠ برقم ٢٦٤١، والنسائي في سننه الكبرى، كتاب الطهارة، السلام على من يبول ١ /٧١ برقم ٣٧، وفي المجتبى له، كتاب الطهارة، باب رد السلام بعد الوضوء ١ /٣٧ برقم ٣٨، وابن ماجة في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب الرجل يسلم عليه وهو يبول ١ /١٢٦ برقم ٣٥٠، والطبراني في معجمه الكبير ٢٠ /٣٢٩ برقم ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، والحديث أصله في صحيح مسلم من حديث أبي الجهم بن الحارث رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب السلام اسم من أسماء الله عز وجل ص ٣٥٧ برقم ٩٨٩، بتحقيق الألباني وقال: حديث حسن، ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً بلفظ: [إنَّ السلام اسم من أسماء الله، وضعه الله في الأرض، فافشوه بينكم، إنَّ الرجل إذا سلم على القوم فردوا عليه كانت له عليهم فضل درجة؛ لأنَّه ذَكَّرَهُمُ السَّلامَ، وإنْ لم يرد عليه رد عليه من هو خير منه وأطيب] كما في الأدب المفرد ص ٣٧٤ برقم ١٠٣٩، بتحقيق الألباني وقال: صحيح موقوفاً، وصح مرفوعاً، ورواه البزار في مسنده موقوفاً، ومرفوعاً ٥ /١٧٥ برقم ١٧٧١، وقال الحافظ المنذري رحمه الله وإسناد البزار جيد قوي. الترغيب والترهيب للمنذري ٣ /٢٨٧، وقال الهيثمي: رواه البزار بإسنادين، والطبراني بأسانيد، وإحدهما رجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨ /٢٩.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ٣ /٢٣١ برقم ٣٠٠٨، ومعمر بن راشد في جامعه الملحق بمصنف عبد الرزاق، باب الإيمان والإسلام ١١ /١٣١، والبيهقي في الشعب ٦ /٤٣٣ برقم ٨٧٨٤.

(٤) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢ /٢٧١.

-/-

ب- حجج أصحاب القول الثاني:

الدليل الأول: استدلوا بأن السلام يحذف منه التعريف، بحيث يذكر بلا ألف ولام، ولو كان اسماً من أسماء الله تعالى لما صح استعماله إلا معرفاً، كما يطلق عليه سائر أسمائه الحسنى، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأيضاً فإن اللفظ المنكر الخالي عن قرائن التعريف لا يفيد التعيين، بخلاف التعريف، فإنه يصرف اللفظ إلى المعين.

الدليل الثاني: إن الرحمة والبركة قد عطفت على السلام، وهما مصدران، وهذه قرينة على أن السلام مصدر؛ حيث عطف عليه مصدران مثله.

الدليل الثالث: قالوا على فرض كون السلام المذكور في الصيغة اسماً من أسماء الله تعالى لما استقام معه المعنى إلاّ بإضمار وتقدير يقيد به اللفظ؛ لأن الاسم نفسه ليس عليهم، ولا يحصل به المقصود، والأصل عدم التقدير؛ لأن التقدير على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلاّ بدليل يقضي على ظاهر اللفظ، وظاهر لفظ الصيغة يقصد به الإيذان بالسلامة خبراً و دعاءً؛ ولهذا كان السلام أماناً، مما يدل على أن السلام مصدر بمعنى السلامة، وحذفت منه التاء ليدل على الجنس؛ لأنّه هو المطلوب عند التحية، والتاء تفيد التحديد؛ لدلالتها على المرة الواحدة.

ج- الراجح في المسألة:

لا تعارض بين القولين؛ لأن السلام من أسمائه سبحانه وتعالى إذا ذكر في التّحية دلّ على الذات الإلهية بالمطابقة، وعلى الأمن والسلامة بالتضمن واللزوم، وتنكيره لا يسلبه الدلالة على الذات؛ لدلالته على طلب معنى السلامة من الله، فهو دال على الذات بقصد الطلب منه سبحانه وتعالى، والفرق إنما هو من جهة الدلالة؛ لأن المعرف يدل على الذات بالمطابقة، والمنكر يدل عليها بالقصد، وحينئذٍ فلا فرق بين القولين؛ لأن معناهما واحد، والخلاف لفظي لا يؤثر على المعنى.

قال ابن القيم: وفصل الخطاب في هذه المسألة أن يقال: الحق في مجموع القولين، فلكل منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما... إلى أن قال: ولما كان المقام مقام طلب السلامة، التي هي أهم ما عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله، الذي يطلب منه السلامة، فتضمن لفظ «سلامٌ عليكم» اسماً من أسماء الله، وطلب

السلامة منه وهذا جلي لمن تأمله، ويقرب من هذا ما روي عن بعض السلف أنه قال في آمين، إنه اسم من أسماء الله تعالى، وأنكر كثير من الناس هذا القول، وقالوا ليس في أسمائه آمين، ولم يفهموا معنى كلامه؛ فإنه إنما أراد أن هذه الكلمة تتضمن اسمه تبارك وتعالى، فإن معناها استجب، واعط ما سألناك إياه، فهي متضمنة لاسمه مع دلالتها على الطلب، وهذا التضمن في لفظ سلام عليكم أظهر؛ لأن السلام من أسمائه تعالى(١).

خامساً: أوجه تقدير معنى السلام باعتباره اسماً من أسماء الله تعالى:

أهل المقالة السابقة اختلفوا في تقدير معنى الصيغة المطلوبة عند التحية على أوجه:

الوجه الأول: بمعنى البركة، أي نزلت بركة اسمه عليكم، وحلت عليكم(٢).

قال زين الدين العراقي: اختلف في معنى السلام فقيل: هو اسم الله، ثم ذكر حديث المهاجر بن قنفذ، وحديث أبي هريرة ﷺ فيما سبق، إلى أن قال: وعلى هذا فمعناه اسم السلام عليكم، أي اسم الله عليكم، أي إذا كان اسم الله يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيها، وانتفاء عوارض الفساد عنها(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: وقيل معناه اسم السلام عليك، كأنه تبرك عليه باسم الله تعالى(٤).

واستدلوا لهذا المعنى بحديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال يا أهل الجنة سلام عليكم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، ثم يتوارى عنهم، فتبقى رحمته، وبركته عليهم في ديارهم»**(٥).

الوجه الثاني: بمعنى الحفظ والمعية، أي السلام عليكم، بمعنى الله عليكم، أي على حفظكم.

قال منصور بن يونس البهوتي: اسم السلام عليك، ومعناه اسم الله عليك، أي أنت في حفظه، كما يقال: الله يصحبك، والله معك(٦).

---

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢ / ٣٧٢، وما بعدها، بتصرف. (٢) المرجع السابق ١ / ١٤٠.

(٣) انظر طرح التثريب في شرح التقريب لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ٨ / ١٠٣، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، سنة النشر: ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م.

(٤) انظر فتح الباري لابن حجر ٧ / ٣١٤. (٥) حديث ضعيف، سبق ص ٥٨.

(٦) انظر كشاف القناع ٢ / ١٥٢، وانظر طرح التثريب في شرح التقريب ٨ / ١٠٤.

الوجه الثالث: بمعنى التذكير بمراقبة الله تعالى، أي الله مطلع عليكم فلا تغفلوا[١].

قال ابن العربي: السلام عليكم يحتمل الله رقيب عليكم[٢].

الوجه الرابع: بمعنى طلب الرحمة ممن تسمى بالسلام، وهو الله عز وجل، والمعنى رحمة السلام على فلان، بتقدير مضاف.

قال سليمان بن عمر الجمل: والمعنى اسم السلام على فلان بالرحمة والرضوان[٣].

الوجه الخامس: معناه ذو السلام فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهو السلام[٤]، وعلى هذا التقدير يكون المراد به الوصف، والمعنى صاحب السلام عليكم.

سادساً: أوجه تقدير معنى السلام باعتباره مصدراً:

الوجه الأول: بمعنى طلب المعاوضة ببذل السلام من الطرفين؛ ليحصل كل واحد منهما على الأمان، ويسلم كل واحد منهما من شر الآخر، والمعنى حصل بيني وبينكم عقد السلامة، وذمام النجاة.

قال سليمان بن عمر الجمل: السلام عليكم أي سلمتم منا وسلمنا منكم، أو أنتم منا في سلام ونحن منكم في سلام[٥].

الوجه الثاني: بمعنى طلب السلامة المطلقة للمسلم عليه مع الإخبار بها، والمعنى السلامة عليكم أي: محيطة بكم، وملازمة لكم، أو بمعنى السلامة من المكاره.

قال المناوي فيما نقله عن بعض أهل العلم في معنى السلام: أي أحييكم بالسلامة الكاملة من جميع معاطب الدارين وآفاتهما مع الأمن والمسالمة، محيطة بكم من جميع جهاتكم؛ إكراماً لكم، بحيث لا يكون لشيء من ضد ذلك سبيل عليكم، فإني مسالم لكم بكل حال ظاهراً وباطناً، فلا يصلكم مني أذىً، فقد طلبت لكم تلك السلامة الموصوفة من السلام، الذي هو المالك تسليم عباده، والمسلم لهم، وصاحب السلامة، لا معطي في الدارين غيره، ولا مرجو فيهما إلاّ خيره[٦].

---

(١) انظر طرح التثريب ٨ /١٠٤ .

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي ١ /٥٩٢ .

(٣) انظر حاشية الجمل على شرح المنهج ٢ /٨٦ .

(٤) انظر المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي الأندلسي ١ /١٦٧، دار الكتاب العربي -بيروت، ط/ الرابعة، سنة النشر: ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م .

(٥) انظر حاشية الجمل على شرح المنهج ٢ /١٠٢ .

(٦) انظر فيض القدير للمناوي ١ /٣٠١ .

وقال في موطن آخر: فالمسلِّم كأنه يقول للمسلَّم عليه أحييك بأن السلام أي: السلامة محيطة بك مني من جميع جهاتك، فأنا مسالم لك بكل حال ومنقاد، فاقبل عقد هذا التأمين برد مثله(١).

ونقل النووي عن بعضهم قوله: السلام بمعنى السلامة، أي: السلامة ملازمة لك(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: ومعنى قولنا السلام عليك الدعاء، أي سلمت من المكاره(٣).

الوجه الثالث: بمعنى طلب السلامة من النقائص، وهذا أخص من المعنى السابق؛ لأنه طلب محض، فهو غير متضمن لمعنى الإخبار.

قال سليمان بن عمر الجمل: ومعنى السلام على فلان، طلبُ سلامته من النقائص(٤).

الوجه الرابع: بمعنى الخبر المتضمن معنى حصول الأمان للمسلم عليه، والمعنى السلام عليكم أي سلمكم الله، أو أنتم في أمان الله(٥).

نقل الحافظ العراقي عن بعض أهل العلم فقال: وكأنَّ المسلم بسلامه معلم له بأنه مسالم له؛ حتى لا يخافه(٦).

سابعاً: عمدة الفريقين في الترجيح:

جميع المعاني السابقة تحتملها صيغة السلام، فهي من باب التنوع في مدلول اللفظ، وتفسير اللفظ بجزء من معناه لا يدل ذلك على بطلان المعاني الأخرى؛ وإنما غاية ما فيه التنوع في الدلالة على المعنى بالتضمن أو باللازم؛ لكثرة تنوع معانيه، ويظل السؤال المفروض هنا في معرفة أفضل المعاني وأتمها؟.

الجواب عليه يختلف باختلاف التصور للمعنى الأتم والأفضل من شخص لآخر، ويؤثر على هذا التصور استحضار أعظم المعاني الشرعية، فمن نظر إلى عظيم معنى المعية رجحها على غيرها؛ لأن المعية متضمنة لجميع المعاني السابقة، فمن كان الله معه فهو في حفظه، وأمانه، ورحمته، وبركته، ورعايته، ومراقبته إلى آخره، والمراد بالمعية هنا طلب حصولها على وجه الخصوص للمسلم عليه؛ لأن المعية العامة حاصلة قبل الطلب، وحصولها لكل أحد، فلا تفيد معنىً جديداً إلاّ مجرد الخبر بالعلم بها، فهي من باب

---

(١) انظر فيض القدير للمناوي ٤ /١٥٠ .
(٢) انظر شرح صحيح مسلم ١٤ /١٤١، ومثله في كشاف القناع ٢ /١٥٢ .
(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ٧ /٣١٤ .
(٤) انظر حاشية الجمل على شرح المنهج ٢ /٨٦ .
(٥) المرجع السابق ٢ /١٠٢ .
(٦) انظر طرح التثريب ٨ /١٠٤ .

تحصيل الحاصل، وهكذا من رجح وجهاً من أوجه معاني السلام، انتصر له بشموله لأكثر المعاني المطلوبة شرعاً، وهو معتمد الكل في الترجيح على كلا التقديرين.

ثامناً: الراجح من أوجه تقدير معنى الصيغة:

الجزم بأحد المعاني السابقة يكاد يكون متعذراً على جهة الإطلاق؛ لعدم وجود المعنى المشترك بين بني البشر، لتأثر معنى الصيغة بالاعتبارات العرضية، كالحياة والموت، والإيمان والكفر، وأيضاً فإن القول بجواز رد السلام على أهل الكتاب إذا أفصحوا بالابتداء يقتضي اعتبار معنىً خاص يتناسب مع وصفهم بالكفر، وكذا السلام على الأموات يحتاج إلى معنىً يتناسب مع الحالة التي هم عليها، وهذا جلي لمن تأمله، وأيضاً فإن بعض المعاني المقدرة يتعذر اعتبارها مع كمال الصيغة، كتقدير معنى البركة أو الرحمة؛ لأن لفظ كمال الصيغة دل عليهما بمنطوقه، وحينئذ فلا وجه لاعتبار المعنى المقدر مع منطوق اللفظ؛ لأن المنطوق قاضٍ على المعاني المقدرة بأصل الوضع، ومما سبق يتضح جلياً أن المعنى المقدر في الصيغة يختلف تصوره وبلورته باختلاف المسلَّم عليه؛ لاختلاف الوصف كما سبق، والله الموفق.

فائدتان:

الأولى: الأوجه المقدرة في معنى الصيغة محلها في الابتداء، أما الرد فلا بد من رد عين المعنى المبتدأ به، وفي حالة الزيادة في الرد ينوي الراد رَدَّ المعنى المبتدأ به عليه مع منطوق اللفظ الزائد في الزيادة، وكذلك إذا علم المسلَّم عليه معنى وقصد المسلِّم فله أن ينوي برده معنىً غير المعنى المبتدأ به عليه، بشرط أن يكون المعنى المنوي به في الرد أفضل وأعظم من معنى اللفظ المبتدأ به عليه؛ ليكون ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

الثانية: نقل الحافظ ابن حجر عن ابن دقيق العيد في شرح الإلمام قوله: السلام يطلق بإزاء معان: منها السلامة، ومنها التحية، ومنها أنه اسم من أسماء الله، وقد يأتي بمعنى التحية محضاً، وقد يأتي بمعنى السلامة محضاً، وقد يأتي متردداً بين المعنيين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] فإنه يحتمل التحية والسلامة[١].

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ١١ /١٣ .

تاسعاً: حكم استحضار نية الطلب:

مدلول السلام طلب بمعنى الدعاء، فهل يحتاج المتكلم بالسلام إلى استحضار نية الطلب في إخراج الكلام عن حقيقته الخبرية إلى المعنى الطلبي أم لا؟.

قال أبو عبد الله المغربي المعروف بالحطاب الرعيني[١]: قال بعض العلماء: وهل يحتاج في ذلك إلى استحضار نية الطلب و إخراج الكلام عن حقيقة الخبر؟.

وأجاب عن السؤال بعد إيراده بقوله: إنْ كثر استعمال اللفظ في ذلك حتى صار كالمنقول في العرف لم يحتج إلى ذلك، وإلاَّ فالأقرب الحاجة إليه[٢].

والظاهر أن قصد المتكلم إلى معنى اللفظ يغنيه عن مثل هذا التكلف؛ لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[٣]، فيدخل في عمومه كل عمل بما في ذلك عمل القلب، بل لا يتصور خلو اللفظ عن معنى قائله وقصده إلاَّ إذا كان القائل ينزل منزلة من لا يعقل.

عاشراً: الفرق بين دلالة المعنى الخبري والمعنى الطلبي:

صيغة السلام من حيث تركيبها جملة اسمية، والأصل في دلالة الجمل الاسمية أن تفيد معنى الثبوت والاستقرار، وهذا المعنى غير لائق في السلام إلاَّ في حالات نادرة باعتبار الوصف المناسب في المسلَّم عليه، أو باعتبار النوع، فالأول كمقام الرسالة، والنبوة، والصِّدِّيقيَّة، ومن شهد له بالجنة، والثاني كالملائكة باعتبارهم نوعاً من مخلوقات الله تعالى، وقد ثبت السلام عليهم شرعاً، وحينئذٍ فمتى ما ثبتت الحالة التي يستحق معها المسلَّم عليه الوصف المطلق المجرد عن اعتبار الزمان والمكان جاز إطلاق السلام عليه بمعنى الخبر، وهذا النوع أعني من يستحق الوصف المطلق قليل

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني، المغربي الأصل، شمس الدين، المعروف بالحطاب، مالكي المذهب، عالم بالفِقْه، والأصول، واللغة، والحديث، والفرائض، وهو من آخر أئمة المالكية بالحجاز، من أشهر مصنفاته: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، وقرة العين بشرح الورقات لإمام الحرمين، ومتممة الآجرومية، وغير ذلك كثير، ولد سنة ٩٠٢هـ، وتوفي بطرابلس سنة ٩٥٤ هـ. انظر كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية لأحمد بابا التنبلي ص ٤٦٨ - ٤٦٩، دار: ابن حزم، ط/ الأولى، سنة النشر ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م، تحقيق عبد الله الكندري، وانظر أيضاً شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص ٢٦٩، وكشف الظنون ٢ /١٦٢٨.

(٢) انظر مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، وبهامشه التاج والإكليل ٢ /١٧، دار الفكر، ط/ الثانية سنة النشر: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، وذكر نحوه ابن دقيق العيد كما في شرح الإلمام بأحاديث الأحكام ١ /٣٢، دار أطلس للنشر والتوزيع، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، تحقيق وتخريج عبد العزيز ابن محمد السعيد.

(٣) رواه البخاري ومسلم، سبق ص ١٣٠.

نادر؛ لأن الإنسان في الغالب تعتريه حالات وصفات لا يستحق معها إطلاق السلام عليه بمعنى الخبر المطلق، والأحكام غالباً تناط بالشائع المنتشر؛ ولذلك كان المعنى المناسب هنا هو المعنى الطلبي؛ لأن المضمر فيه جملة فعلية تفيد معنى الحدوث والتجدد، والمعنى يتجدد بتجدد زمانه؛ لدلالته على معنى التوقيت، وحصول المعنى مرتبط بالزمان المضمر في مدلول الفعل، ولإيضاح ما سبق فإليك معنى سلام الملائكة على إبراهيم عليه السلام وبلاغة رده.

الحادي عشر: سلام الملائكة على إبراهيم عليه السلام وبلاغة رده:

أصل هذه المسألة قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: ٦٩]، وقوله: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [الذاريات: ٢٥].

وفي تأويل معنى سلام الملائكة على إبراهيم ثلاثة أقوال لأهل العلم:

القول الأول: أنَّه دعاء بالسلامة؛ لأنَّ التحية بالسلام تقتضي السكون والأمان، وهو قول الجمهور كما أفاده القاضي أبو الحسن الماوردي[١][٢].

القول الثاني: أنه حكاية لمعنى قولهم، والمراد وصف قولهم بالسلامة من الشر واللغو وغيرهما.

قال ابن العربي: الصحيح أن ﴿سَلَامًا﴾ هاهنا معنى كلامهم لا لفظه، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ولو كان لفظ كلامهم «سلامٌ عليكم» فإنه لم يقصد ذكر اللفظ، و إنما قصد ذِكْرَ المعنى الذي يدل على لفظ سلام. ألا ترى أن الله سبحانه لما أراد ذكر اللفظ قاله بعينه، فقال مخبراً عن الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وأبدع منه في الدلالة أنه قال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١١٩-١٢٠]، وقال أيضاً: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٢٩-١٣٠][٣].

---

(١) هو علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماوردي البصري، أحد أئمة أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي، وله مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير وأصول الفقه والأدب، منها: الحاوي قال الإسنوي ولم يصنف مثله، وكتاب الأحكام السلطانية، والإقناع، والتفسير، وأدب الدين والدنيا، وكان حافظاً للمذهب الشافعي، ولي القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد، وكان موافقاً للمعتزلة في القول بالقدر، وهي بلية غلبت على البصريين، توفي سنة ٤٥٠ هـ عن ست وثمانين سنة. انظر طبقات الشافعية ٢ /٢٣٠، وما بعدها.

(٢) انظر النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي لأبي الحسن الماوردي ٥ /٣٦٩، ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٣ /١٩.

وقال ابن القيم بعد أن حكى قول النحاة في تقدير الآية: وعندي فيه جواب أحسن من هذا، وهو أنه لم يقصد حكاية سلام الملائكة، فنصب قوله: ﴿سَلَامًا﴾ مفعول القول المفرد، كأنه قيل: قالوا قولاً سلاماً، وقالوا سداداً وصواباً، ونحو ذلك؛ فإن القول إنما تحكى به الجمل، وأما المفرد فلا يكون محكياً به، بل منصوب به انتصاب المفعول به، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ليس المراد أنهم قالوا هذا اللفظ المفرد المنصوب، وإنما معناه: قالوا قولاً سلاماً، مثل سداداً وصواباً، وسمي القول سلاماً؛ لأنه يؤدي معنى السلام ويتضمنه من رفع الوحشة، وحصول الإستئناس(١).

القول الثالث: بمعنى المسالمة، أي مسالمين غير محاربين لتسكن نفسه؛ لأنَّه نكرهم؛ ولذلك رد إبراهيم عليه السلام كما في قراءة حمزة(٢) والكسائي(٣) (سِلْمٌ) من المسالمة(٤).

قال ابن جرير الطبري: وقد زعم بعضهم أن معناه نحن سلم لكم، من المسالمة التي هي خلاف المحاربة... إلى أن قال بعد أن ذكر القراءتين في الآية: والصواب من القول في ذلك عندي أن المعنى متقارب؛ لأن السلم قد يكون بمعنى السلام، والسلام

---

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢ /٣٨٥-٣٨٦.

(٢) هو الإمام أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، أحد القراء السبعة، كان إماماً حجة في القراءات، قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، وبصيراً بالفرائض والعربية، ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٦ هـ وقيل: ١٥٨ هـ. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ١ /١١١، وما بعدها، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط/ الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، تحقيق بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس.

(٣) هو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الاسدي، مولاهم الكوفي، المقرئ النحوي، قال عبد الرحيم بن موسى: سألت الكسائي عن نسبته فقال: أحرمت في كساء. وقال يحيى بن معين: ما رأيت بعيني أصدق لهجة من الكسائي، وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي، ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفي سنة ١٨٩ هـ فلما مات قال الرشيد: دفنا النحو بالري. انظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ١ /١٢٠.

(٤) انظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لأبي حفص سراج الدين عمر بن زين الدين الانصاري النُّشَّار ٢ /٣٢٣، عالم الكتب، لبنان-بيروت، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وانظر الموضح في وجوه القراءات وعلله للإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي المعروف بابن أبي مريم ٣ /١٢٠٨، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م، تحقيق عمر حمدان الكبيسي.

بمعنى السلم؛ لأن التسليم لا يكاد يكون إلا بين أهل السلم دون الأعداء، فإذا ذكر تسليم من قوم على قوم، وردُّ الآخرين عليهم، دل ذلك على مسالمة بعضهم بعضاً(١).

وينسب هذا القول إلى الأخفش(٢) كما أفاده الماوردي(٣).

وعلى القول الأول والثالث فإن سلام الملائكة إما أن يكون مصدراً العامل فيه فعل محذوف تقديره: سلمنا سلاماً أو سلموا سلاماً، وإما بإعمال قالوا فيه على تضمينه معنى الذكر، وتقديره ذكروا سلاماً، وإما بإعمال قالوا فيه من غير تضمين، والتقدير قالوا قولاً وسلموا تسليماً، وإما أن يكون مصدراً سادّاً مسد الفعل مستغنٍ به عنه، وأصله نسلم عليكم سلاماً(٤).

وعلى القول الثاني إما أن يكون منصوباً على الحكاية؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي صواباً، فسلاماً معنى قولهم لا لفظه، وإما أن يكون مصدراً بإعمال قالوا فيه، والتقدير قالوا قولاً ذا سلام(٥).

وعلى كلا التقديرين في سلام الملائكة لم يقع خلاف في معنى سلام إبراهيم عليه السلام؛ لاتفاقهم على أن رده أبلغ من سلام الملائكة؛ لأنهم حيوه بجملة فعلية دالة على الحدوث والتجدد، ورد عليهم بجملة اسمية دالة على الثبوت واللزوم والدوام، تقديرها سلام دائم، أو ثابت، أو مستقر عليكم، فكانت تحيته أكمل وأحسن من تحية الملائكة، وهذا يتضمن المدح لإبراهيم عليه السلام حيث حياهم بأحسن مما حيوه به.

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري، المسمى بجامع البيان عن تفسير آي القرآن ١٣ /٦٨-٦٩، بتصرف يسير، دار الفكر-بيروت.

(٢) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي البصري، أخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولزم سيبويه حتى برع، قال أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش قدرياً رجل سوء، كتابه في المعاني صنويلح، وفيه أشياء في القدر ١٤٦. وله مصنفات في النحو، والعروض، مات سنة نيف عشرة ومئتين، وقيل سنة عشر ومئتين، قال ابن النجار: كان أجلع، وهو الذي لا تنطبق شفتاه على أسنانه. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠ /٢٠٦، وما بعدها.

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي ٥ /٣٦٩.

(٤) انظر في ذلك تفسير الطبري ١٢ /٦٩، وتفسير النسفي ٤ /١٧٩، وتفسير أبي السعود المعروف بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٤ /٢٢٤، وروح المعاني للآلوسي ١٢ /٩٣.

(٥) انظر في ذلك تفسير الطبري ١٢ /٦٩، وتفسير النسفي ٤ /١٧٩، وتفسير أبي السعود ٤ /٢٢٤، وروح المعاني للآلوسي ١٢ /٩٣.

قال ابن القيم: والسلام بالرفع أكمل؛ فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، فإبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم؛ فإنَّ قولهم ﴿سَلَامًا﴾ يدل على سلمنا سلاماً، وقوله: ﴿سَلَامٌ﴾ أي: سلام عليكم(١).

(١) انظر التفسير القيم لابن القيم ص ٤٤٦، جمع محمد ويس الندوي، لجنة التراث العربي، بيروت ـ لبنان، تحقيق محمد حامد الفقي، وهذا القول الذي حكاه ابن القيم عليه عامة أهل التفسير، انظر في ذلك تفسير ابن كثير ٢ /٤٥٢، وتفسير البيضاوي ٣ /٢٤٤، دار الفكر ـ بيروت، سنة النشر: ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة، وتفسير أبي السعود المعروف بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٤ /٢٢٤ .

obeikandl.com